الدور الغربي في انفصال جنوب السودان: الأهداف والوسائل

د. فتيحة ليتيم

قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية

جامعة باجي مختار– عنابة– الجزائر

litimfatiha_fr@yahoo.fr

ملخص:

يتناول هذا المقال المصالح الغربية والإسرائيلية من وراء تقسيم السودان، والوسائل المستخدمة لتحقيق هذه الأهداف. بحيث يتضمن العناصر التالية: الأهمية الجيوستراتيجية للسودان، الأهداف الإستراتيجية الغربية والأمريكية في السودان، وسائل الغرب لتكريس انفصال الجنوب السودان. وتتوصل الدراسة إلى أن انفصال جنوب السودان والتدافع الدولي والإقليمي القوي لتجزئة السودان قد غذته عوامل إستراتيجية واقتصادية وأمنية عديدة، مما يجعل الأمر أقرب إلى مسعى لتقسيم السودان منه إلى مجرد استقلال إقليم حققته حركة تحررية.

الكلمات المفتاحية: السودان، الانفصال، جنوب السودان، الجيوستراتيجيا.

Abstract:

This article addresses Western and Israeli interests in the division of Sudan and the means used to achieve them. It implies the following sections: the geostrategic importance of the Sudan, the Western and American strategic objectives in Sudan, the Western means to achieve the secession of South Sudan. The study concludes that the secession of southern Sudan and the strong international and regional scramble for the fragmentation of the Sudan has been fueled by many strategic, economic and security factors, making it closer to an attempt to divide the Sudan than a mere independence of a territory achieved by a liberation movement.

Keywords: Sudan, secession, South Sudan, geostrategy.

مقدمة:

بعد إعلان نتائج استفتاء جنوب السودان، والتي جاءت لصالح الاستقلال وإعلان اسم الدولة الجديدة السودان الجنوبي، يمكننا أن نتساءل – وببراءة –عن حقيقة العوامل التي كانت وراء انفصال جزءا هاما من دولة إفريقية وعربية كبرى، وحقيقة الدفع الدولي لتحقيق هذا الانفصال والذي تسعى أقاليم أخرى كثيرة في العالم إلى تحقيقه لكن دون جدوى.

لقد دعمت القوى الغربية في السنوات الماضية حركات التمرد التي دمرت العديد من الدول الأفريقية الكبرى. وأحداث دارفور وانفصال جنوب السودان لا يخرج عن هذا السيناريو، حيث تخطط الدول الغربية لإنشاء أربع دويلات داخل السودان. وفي الواقع إن انفصال جنوب السودان والتدافع الدولي والإقليمي القوي لتجزئة السودان قد غذته عوامل إستراتيجية واقتصادية وأمنية عديدة، مما يجعل الأمر أقرب إلى المؤامرة لتقسيم السودان منه إلى مجرد استقلال إقليم حققته حركة تحررية.

في هذا الإطار، يتناول هذا المقال الأهداف الغربية عموما والإسرائيلية من وراء تقسيم السودان، والوسائل المستخدمة لتحقيق هذه الأهداف. ولقد تم تقسيم المقال إلى العناصر التالية:

أولا: الأهمية الجيوستراتيجية للسودان

ثانيا: أهداف الإستراتيجية الغربية والأمريكية في السودان

ثالثا: وسائل الغرب لتكريس انفصال الجنوب السودان

أولا: الأهمية الجيوستراتيجية للسودان:

أ. الموقع الجغرافي:

يقع السودان في الجزء الشمالي الشرقي من قارة أفريقيا بين دائرتي العرض 22.4 شمال خط الاستواء وخط طول 38.22 ويحتل موقعا وسطا بين إفريقيا والوطن العربي؛ هذا الموقع أكسب السودان ميزة فريدة باعتباره المعبر الرئيسي بين شمال أفريقيا وجنوبها، كما أنه ظل وحتى منتصف القرن الحالي الممر الرئيسي لقوافل الحجيج والتجارة من غرب أفريقيا إلى الأراضي المقدسة وشرق أفريقيا . تبلغ مساحة السودان حوالي مليون ميل مربع (2.5 مليون كيلو متر مربع)، وهو بذلك يأتي في المرتبة التاسعة بين بلدان العالم الأكبر مساحة وهو أكبر الدول العربية والأفريقية مساحة إذ تعادل مساحته 8.3 % من مساحة إفريقيا [1]. ومساحته تساوي مساحة أوروبا الغربية، وعدد سكانه يقدرون بحوالي 35 مليون نسمة فقط، وتساوي مساحة دارفور غربا مساحة فرنسا، يقطنها ستة ملايين نسمة[2].

ويحتل السودان موقعا استراتيجيا هاما، على البحر الأحمر جنوب مصر، وله حدود جغرافية مع ثمانية بلدان أفريقية أخرى وهي: ليبيا، تشاد، إفريقيا الوسطى، الكونغو الديمقراطية، أوغندا، كينيا، أثيوبيا، اريتريا والمملكة العربية السعودية عبر البحر الأحمر. وتقدر المساحة الصالحة للزراعة بحوالى (200) مليون فدان(84 مليون هكتار). ولا يزرع منها سوى 16 مليون فدان.

يعتبر السودان جزءا مما يسمى قوس الأزمات، تلك المنطقة الممتدة من وسط أسيا إلى أواسط أفريقيا، والممتدة على جانبي ما يمكن أن نطلق عليه: وترغرب أسيا . شرق أفريقيا، أو بالأحرى: وتر الخليج العربي . القرن الأفريقي، الذي توليه الإستراتيجيات الكبرى، وعلى رأسها الإستراتيجية الأمريكية، والبريطانية، أهمية فائقة. وبذلك تظهر مركزية المنطقة، والسودان داخلها، في هذا الإطار[3].

السودان
الخرطوم
ولايات دارفور
شمال دارفور
غرب دارفور
جنوب دارفور
البحر الأحمر
مصر
ليبيا
تشاد
إريتريا
إثيوبيا
أفريقيا الوسطى
الكونغو الديمقراطية
أوغندا
كينيا

الولاية الشمالية
شمال دارفور
البحر الاحمر
نهر النيل
كسلا
الخرطوم
الجزيرة
القضارف
شمال كردفان
النيل الابيض
سنار
غرب دارفور
جنوب دارفور
جنوب كردفان
النيل الازرق
اعالي النيل
الوحدة
شمال بحر الغزال
وارب
غرب بحر الغزال
جونقلي
البحيرات
غرب الاستوائية
شرق الاستوائية
بحر الغزال

الخليج العربي، بما يتضمنه من احتياط هائل للنفط، ناهيك عن كونه من أكثر مناطق العالم إنتاجاً له، هو أحد المرتكزين الرئيسين لـ الوتر المشار إليه؛ وفي الوقت نفسه، يمثل نقطة مفتاحية: سواء بالنسبة إلى جنوب آسيا وشبه القارة الهندية، أو إلى وسط آسيا ومنطقة بحر قزوين، أو إلى المماس الأوراسي (أي: خط التماس بين آسيا وأوروبا).

أما القرن الأفريقي، وبما يتضمنه، أيضاً، من اكتشافات نفطية مهمة (الصومال، وجنوب السودان)، فهو المرتكز الرئيس الآخر؛ وفي الوقت نفسه، يمثل نقطة مفتاحية: سواء بالنسبة إلى منطقة البحيرات العظمى وأواسط أفريقيا، أو إلى الشمال الأفريقي وجنوب البحر المتوسط تحديداً؛ هذا، ناهيك عن كونه نقطة مفتاحية رئيسية بالنسبة إلى البحر الأحمر وخليج عدن والمحيط الهندي في آن واحد[4].

في هذا الإطار، يمكن إدراك المدى الذي يتحكم به، ومن خلاله، القرن الأفريقي، في واحد من أهم طرق التجارة العالمية، وخاصة تجارة النفط القادم من منطقة الخليج العربية إلى أوروبا والولايات المتحدة.. والأهم، القيمة الفعلية التي يمثلها هذا القرن، كواحد من الممرات المهمة لأي تحركات عسكرية قادمة من أوروبا و/أو الولايات المتحدة في اتجاه الخليج العربي. ومن ثم يمكن إدراك مغزى التحركات الدولية عامة، والأمريكية خصوصاً، على ساحة هذه المنطقة، في الآونة الأخيرة؛ وهي التحركات التي تفسر العديد من الأحداث التي شهدتها منطقة القرن مؤخراً، بل يمكن إدراك الدوافع التي تستند إليها تلك التحركات[5].

إذن فالسودان يعد بحق البوابة الجنوبية للأمن العربي؛ بل، دون ما مغالاة، البلد ـ العربي ـ المفتاح إلى منطقة القرن الأفريقي وباب المندب والمحيط الهندي. وهذا ما أكدته دراسة أمريكية عام 1994 بتأكيدها أن السودان هو نقطة الانطلاق نحو أفريقيا[6].

ب. الثروات:

على صعيد الثروات التي يمتلكها السودان، يعتبر هذا الأخير من أغنى الدول العربية والأفريقية، حيث تم اكتشاف ثروات هامة في السنوات الأخيرة بالسودان. إذ ينافس احتياطه من البترول احتياطات السعودية، كما يحتوي على حقول هامة من الغاز الطبيعي، وكميات معتبرة من اليورانيوم على درجة كبيرة من النقاء. إضافة إلى كميات هائلة من النحاس. ولذلك ضاعفت الولايات المتحدة من جهودها للاستحواذ على ثروات السودان[7]. كما أن السودان غني أيضا

بثروته الحيوانية إذ تقدر أعداد حيوانات الغذاء فيه (أبقار – أغنام – ماعز – ابل) بحوالي 103 مليون رأس (30 مليون رأس أبقار، 37 مليون رأس أغنام ، 33 مليون رأس ماعز، 3 مليون رأس من الإبل) إضافة إلى 4 مليون رأس من الفصيلة الخيلية، 45 مليون من الدواجن وثروة سمكية تقدر بحوالي 100 ألف طن للمصائد الداخلية و10 ألاف طن للمصائد البحرية، إلى جانب أعداد كبيرة من الحيوانات البرية[8].

وتساهم هذه الثروة الحيوانية مساهمة كبرى في الاقتصاد السوداني، بتوفيرها الأمن الغذائي للمكان في مجال اللحوم، وأكثر من 60% من الاحتياج في مجال الألبان، بجانب توفير الطاقة والجو والحمل والروث كسماد. وتقدر قيمة هذه المنتجات بأكثر من4 مليار دولار سنويا بالإضافة إلى توفير هذا القطاع العيش الكريم لحوالي 40% من سكان السودان بصورة أو أخرى[9].

ثانيا: أهداف الإستراتيجية الغربية والأمريكية في السودان:

يمكن تقسيم أهداف الإستراتيجية الأمريكية **الغربية** إلى أهداف معلنة وأخرى حقيقية.

أ. الأهداف المعلنة:

يتمثل الهدف الأمريكي المعلن في السودان في ما قاله المبعوث الخاص للسودان الجنرال سكوت جريشن في شهادة أدلى بها مؤخرا أمام لجنة أفريقيا الفرعية المنبثقة عن لجنة العلاقات الخارجية بمجلس النواب الأمريكي، عندما قال إن الإستراتيجية الأمريكية تجاه السودان ترمي إلى تحقيق ثلاثة أهداف رئيسية هي: إنقاذ الأرواح وضمان سلام دائم، وتطبيق اتفاق سلام طويل الأمد ومنع السودان من أن يصبح ملاذا آمنا للإرهابيين، وأكد أن الإخفاق في تحقيق هذه الأهداف يمكن أن يسفر عن مزيد من المعاناة، ومزيد من عدم الاستقرار الإقليمي أو عن إيجاد ملاذات آمنة جديدة للإرهابيين الدوليين [10].

ب. الأهداف غير المعلنة(الحقيقية):

إن التدخل الأمريكي والغربي عموما في القرن الإفريقي وفي السودان بشكل خاص يمكن من تحقيق جملة من الأهداف المتعددة، والتي يمكننا إجمالها في:

أولا: السيطرة على منابع النفط

يمتلك السودان موارد طبيعية هامة جعلت منه محط أنظار القوى العظمى، وتتمثل في: النفط أولاً، ثم الموارد المعدنية ثانياً.. ناهيك عن ما يتمتع به السودان، في إطار منطقة القرن الأفريقي ككل، من أهمية (جغراستراتيجية)، ثالثاً.

وحسب جريدة Oil and Gas Journal الصادرة عن الإدارة الأمريكية للطاقة فإن احتياطات السودان من الغاز قدرت عام 2007 ب 5 مليار برميل، مما يضعه في المرتبة الخامسة إفريقيا. كما أن الإنتاج السوداني من البترول الخام في ازدياد كذلك، حيث قدرت عام 1999 ب 75000 برميل وارتفعت عام 2006 إلى 414000 برميل. وتشكل عائدات البترول حوالي 60 % من الدخل الوطني السوداني و95% من الصادرات السودانية[11].ويتوقع الخبراء أن تتجاوز احتياطات السودان النفطية احتياطات السعودية. وينتج الجنوب حاليا ما يوازي 490 ألف برميل يوميا، وهو بذلك يحتل المرتبة الثالثة في القارة الأفريقية جنوب الصحراء بعد انجولا ونيجيريا طبقا لبيانات شركة بريتيش بتروليم[12].

الولايات المتحدة الأمريكية من خلال دراسة لخبرائها الجيولوجيين والتي تشير إلى أن احتياطي النفط في أفريقيا الغربية يقدر بستين مليار برميل وأن الحوض الممتد من ليبيا مروراً بالتشاد ونيجيريا والكونغو سيؤمن ربما احتياجات الولايات المتحدة من الطاقة عام 2015 وإذا ما أضيف إليه نفط السودان سيؤمن نسبة لا تقل عن ثلث احتياجاته، وهذه الثروات كانت وراء التطاحن الخفي وأحياناً العلني بين الشركات النفطية الاحتكارية العالمية[13].

لقد جاء في تقرير جون سي دانفورث (مبعوث الرئيس الأمريكي إلى السودان)، وهو التقرير (المقدم في: 26 أبريل 2002)، والذي كان ضمن أهم مرتكزات قانون الكونغرس الأمريكي، قانون سلام السودان: إن اكتشاف احتياطي نفطي مهم، بالأخص في الجنوب، وبدء الإنتاج الجدي له في عام 1999، أعاد تكوين شكل الحرب الأهلية في السودان. ويمتلك السودان حسب دانفورث . احتياطي نفطي يتجاوز بليون برميل، مع احتمالات وجود احتياطي إضافي يتراوح بين بليون وأربعة بلايين برميل)؛ ولا يمكن التوصل إلى تسوية دائمة للحرب في السودان ما لم تتم المعالجة الفعالة للمسألة النفطية[14]. هذا هو أحد أهم النصوص الواردة في تقرير جون سي دانفورث، حول السلام في السودان. وهو يغني عن أي تعليق حول: المصالح الأمريكية

في جنوب السودان. إذن، إنها قبل كل شيء قضية النفط كما يعبر عنها الكاتب Sergei Balmasov [15].

وعليه إن انفصال جنوب السودان سيمكن الولايات المتحدة من السيطرة على النفط المتدفق في الدولة الجديدة بشروط أفضل من تلك التي كانت ستحصل بها على ذات النفط لو أن الجنوب لم ينفصل. كما أن السيطرة على النفط يمكن أن تتحقق أيضا تحت سيف التهديد باندلاع الحروب مع دولة الجنوب، في حال إصرار الحكومة السودانية على فرض شروط تحقق مصالح الشعب والدولة السودانية. وباستخدام التعبير الذي استخدمته مجلة الإيكونوميست، يمكن القول: شكراً للنفط [16].

ثانيا: حصار مصر من الجنوب (هدف إسرائيلي أمريكي):

إن انفصال جنوب السودان يعني حصار مصر جنوبا بعد أن تم حصارها من الشمال بإسرائيل والضغط عليها عبر مياه نهر النيل بإثارة المزيد من المشاكل من قبل الدولة الجديدة التي ستصبح إحدى دول حوض النيل، لإجبار القاهرة على تنفيذ مخططات الغرب، ليس فقط في ما يتعلق بدول المنطقة، ولكن المخططات هذه المرة ستتعلق بالداخل المصري عبر الإطاحة بكل ثوابت المجتمع المصري الذي سيتم إخضاعه لعمليات تبشير كبرى بعد تمهيد الطريق أمامها سياسيا وقانونيا.

وتجدر الإشارة أن فكرة تحويل جزء من مياه النيل إلى صحراء النقب عبر سيناء، فكرة إسرائيلية قديمة، تقدم بها هرتزل عام 1893 إلى الحكومة البريطانية، وتكررت المحاولات الإسرائيلية الحثيثة منذ السبعينيات للحصول على نصيب من مياه النيل.. وعلى الرغم من استمرار الرفض المصري الرسمي والشعبي، فإن المشروع لم يتم إلغاؤه من الوجود، فهو بمثابة حلم لإسرائيل، ينتظر الفرصة المناسبة لتحقيقه، في ظل مستجدات الظروف السياسية والاقتصادية في المنطقة[17].

إضافة إلى ما سبق، تعد تصريحات ممثل حركة تمرد جنوب السودان في واشنطن التي شدد خلالها على أن الدولة الجديدة في جنوب السودان سوف تعترف بإسرائيل وستقيم معها علاقات وثيقة ومميزة، تأكيدا على أن إسرائيل قد أصبحت إسرائيل تحيط بمصر شمالا وجنوبا، كما أصبحت إحدى دول حوض النيل، ولها الحق في التحكم بمنابع نهر الحياة للسودان ومصر. وهو

ما يعني أن المشاكل التي تواجهها مصر الآن مع دول حوض النيل ستكون أمرا هينا، مقارنة بما ستواجهه بعد انفصال جنوب السودان[18].

وفي هذا الإطار، جاءت محاضرة وزير الأمن الداخلي الإسرائيلي آفي ديختر[19] في 4 سبتمبر 2008 والتي تحدث فيها عن أهداف إسرائيل في المنطقة، وخصوصا في السودان والعراق حديث قال باللفظ إن حلفاءنا أو أصدقاءنا في الجنوب قادرون على تنفيذ الأجندة الإسرائيلية.

كما قال ديختر إن السودان بموارده ومساحته الشاسعة وعدد سكانه يمكن أن يصبح دولة إقليمية قوية منافسة لمصر والعراق والسعودية. وشكل السودان عمقا إستراتيجيا لمصر وتجلى ذلك بعد حرب 1967، حيث تحول إلى قواعد تدريب وإيواء سلاح الجو المصري وللقوات البرية وأرسل قوات إلى منطقة القناة أثناء حرب الاستنزاف، كان لا بد أن نعمل على إضعاف السودان وانتزاع المبادرة منه لبناء دولة قوية موحدة، هذا ضروري لدعم وتقوية الأمن القومي الإسرائيلي، أقدمنا على إنتاج وتصعيد بؤرة دارفور لمنع السودان من إيجاد الوقت لتعظيم قدراته. إستراتيجيتنا التي ترجمت على أرض الجنوب سابقا وفي غربه حاليا نجحت في تغيير مجرى الأوضاع في السودان نحو التأزم والانقسام، الصراعات الحالية في السودان ستنتهي عاجلا أو آجلا بتقسيمه إلى عدة كيانات ودول وكل الدلائل تشير إلى أن الجنوب في طريقه إلى الانفصال، هناك قوى دولية بزعامة أميركا مصرة على التدخل في السودان لصالح استقلال الجنوب وكذلك إقليم دارفور كما حصل في إقليم كوسوفو. إن قدرا هاما وكبيرا من أهدافنا في السودان قد تحقق على الأقل في الجنوب وهذه الأهداف تكتسب الآن فرص التحقيق في دارفور .

إذن إن قيام دولة في جنوب السودان من شأنه أن يشكل خطورة كبرى على مصر، فمن يملك مصادر النيل يستطيع ممارسة نوع من الرقابة الإستراتيجية حيال مصر، ورغم توقيع معاهدة السلام بين إسرائيل ومصر، إلا أنه سيكون من المفيد استراتيجيا أيضا لإسرائيل التحالف مع دول الجوار المصري خصوصا إذا ما تغيرت السياسة المصرية حيال إسرائيل[20].

ثالثا: إنشاء مركز لقيادة القوات الأمريكية في أفريقيا: (أفريكوم)

يأتي الهدف العسكري كأحد أبرز الأهداف الأمريكية من الوجود في السودان، وهو ما ترجمه مشروع أفريكوم الذي ظهرت فكرته إلى النور عام 2003م، ويهدف المشروع إلى بناء قواعد عسكرية في أفريقيا، ورغم العروض التي قدمتها كل من ليبريا وإثيوبيا لاستضافة أفريكوم، إلا أن الإدارة الأمريكية وجدت ضالتها للسيطرة على العمق الإفريقي من خلال دولة جنوب السودان، وقد كشف الباحث السوداني عاصم فتح الرحمن أحمد الحاج في دراسة حول أسباب دعم الولايات المتحدة لانفصال الجنوب، عن خفايا عديدة في مشروع أفريكوم، مستدلا بتصريحات الجنرال جيمس جونز قائد القوات الأمريكية فى أوروبا (EUCOM) عن عزم الولايات المتحدة الأمريكية التواجد على أراضي القارة السمراء؛ حيث أنها لا تريد أن تبقى بعيدًا عن ما يحدث في أفريقيا، وأنه لم يعد بمقدور القوات الأمريكية أن تظل تراقب الأوضاع في القارة الإفريقية من على البحر؛ لذلك لا بد من أن يكون هناك وجود أمريكي على الأرض الإفريقية، خاصة في دول شمال إفريقيا وجنوب الصحراء وهو الهدف نفسه الذي طالبت به إستراتيجية مجلس الطاقة الأمريكية (National Energy Policy) والذي يعرف بتقرير (Deck Cheney) الذي دعا الإدارة الأمريكية إلى إنشاء قواعد عسكرية في كل المناطق التي تحتوي على النفط في العالم، بدءًا من كازخستان وحتى أنجولا في أفريقيا، وعلى ضوء هذا التقرير أعلن وزير الدفاع الأمريكي روبرت غيتس في 6 فبراير من 2007م أمام لجنة التسلح في مجلس الشيوخ الأمريكي أن الرئيس الأمريكي السابق جوج دبليو بوش قد أصدر قرارًا بإنشاء قيادة عسكرية جديدة في إفريقيا .[21] .

إذن من المحتمل أن تكون الدولة الوليدة مركزا لقيادة القوات الأمريكية في إفريقيا أفريكوم التي رفضت كثير من دول الجوار استضافتها. وفي هذا الإطار أتت زيارة نائب قائد أفريكوم إلى الجنوب، والاتفاق وفقاً لما تسرب من لقاءاته مع قيادة حركات التمرد في الجنوب (الحركة الشعبية والجيش الشعبي)، على نقاط تضمن موطئ قدم للقوات الأمريكية في الجنوب لتحقيق أهداف جيوستراتيجية في مقدمتها مواصلة الحرب على الإرهاب [22].

رابعا: مواجهة النفوذ الصيني المتعاظم في المنطقة

تعد الصين ثاني أكبر مستورد للنفط في العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية، وتحصل على ربع احتياجاتها من أفريقيا، كما تمتلك استثمارات ضخمة في كثير من الدول الإفريقية كالسودان وإثيوبيا وأوغندا وغيرها. ولقد تحصلت الصين، ومنذ عام 2004 على امتيازات في السودان تمنحها حق تطوير حقول النفط، كما يعتبر السودان ثالث أكبر شريك تجاري للصين في أفريقيا بعد أنغولا وجنوب إفريقيا [23] . وتعد شركة الصين الوطنية هي المستثمر الأول في نفط السودان، كما تزود الصين السودان بالتكنولوجيا اللازمة في مجال التنقيب والضخ وبناء مصفاة البترول[24] .

وعليه يمكن القول أن الاستثمار الصيني في إفريقيا يشكل أكثر من تهديد تجاري بالنسبة للشركات الغربية عموما والأمريكية على وجه الخصوص[25] . ولذلك فإن وضع اليد على الثروات الهامة التي يمتلكها السودان يتطلب إزالة جميع العقبات التي تحول دون الوصول إلى هذه الثروات وهذا ما يفسر الانزعاج الأمريكي والأوروبي من السودان الذي فضل التعامل مع الدول الصديقة للسودان كالصين وغيرها التي تتعامل بشكل مغاير عما هي عليه الدول الغربية[26]، فسياستها الخارجية سياسة براغماتية بدون شروط سياسية عكس الدول الغربية.

خامسا: محاربة ما يسمى بالإرهاب

رغم أن الاهتمام الأمريكي بمنطقة القرن الإفريقي قديم، حيث حاولت الولايات المتحدة السيطرة على المنطقة بالغزو المباشر، وكانت عملية إعادة الأمل في الصومال نموذجاً، لكنها لم تنجح. ثم كانت المحاولة التالية لها عن طريق حلف القادة الجدد، وعبر اللعب على وتر التوتسي في منطقة البحيرات العظمى، لكنها، أيضاً، لم تنجح النجاح المأمول (حرب عام 1994، في رواندا).

إلا أن هذا الاهتمام اتضح أكثر وبرز بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، إذ كان لبروز القوى الإسلامية في الكثير من بلدان القرن الإفريقي (السودان، الصومال، إقليم الأوجادين) وما تردد حول التلاقي والتنسيق بين تنظيم القاعدة وبعض هذه القوى، كالحديث عن علاقة تنظيم القاعدة بالاتحاد الإسلامي الصومالي، وعلاقة هذا الأخير بتفجير سفارتي الولايات المتحدة، في كينيا وتنزانيا، في العام 1998[27] .

ولذلك وفرت أحداث 11 سبتمبر، الفرصة التاريخية للولايات المتحدة، وأعطت سياستها الخارجية بعداً إضافياً، في التدخل المباشر تحت دعوى محاربة الإرهاب والإسلام الراديكالي وتحقيق هدف محاصرة إفريقيا الإسلامية.

وعليه تم وضع السودان على قائمة الأعمال (Agenda)، الأمريكية والبريطانية، بهدف الهيمنة على منطقة القرن الأفريقي، ومن ثم إعادة تشكيلها بما يتناسب مع المصالح الإستراتيجية الأمريكية، هناك[28].

سادسا: الهدف الديني

إضافة إلى الأسباب السابقة الذكر، هناك أهداف دينية أمريكية أخرى في دولة الجنوب تحدثت عنها تقارير واشنطن، وهذه الأهداف تدافع عنها كنائس ومنظمات تبشيرية إنجيلية وأعضاء محافظين بالكونجرس، وبرغم المظهر العلماني الذي يبدو عليه المجتمع الأمريكي، إلا أن الدين ما زال أحد القوى الأساسية المحركة له، خاصة في القضايا المتعلقة بالتماس مع العالم العربي أو الإسلامي، مثل قضية جنوب السودان. ولا يخفي زعماء تيار المحافظين الجدد المتطرفين المعادين للإسلام مثل القس فرانكلين جراهام تخطيطهم لإعادة بناء مئات الكنائس التي يزعمون أنها دمرت من قبل الحكومة السودانية والمليشيات الموالية لها في جنوب السودان، فهو القائل: إن هناك حربا مشتعلة ضد كنيسة المسيح في أفريقيا، وتلك المعركة يشنها المسلمون ضد المسيحيين في بلدان مثل إثيوبيا والسودان[29].

الولايات المتحدة الأمريكية تسعى لحصار الإسلام حتى لا يمتد إلى قارة إفريقيا، وهي بذلك تنفِّذ وتساير هدف مجلس الكنائس العالمي، وهو ما أعلن عنه الرئيس الأمريكي السابق جورج دابيلو بوش بقوله إنه سيتصدى لحفظ كرامة الإنسان وضمان الحريات الدينية في كل مكان في العالم من كوبا إلى الصين إلى جنوب السودان، وهو ما ذهب إليه أيضًا القس فرانكلين جراهام- المعروف بعدائه للإسلام- في مقال نشرته الصحف الأمريكية أكد فيه أنه يخطط لإعادة بناء مئات الكنائس التي دُمرت في جنوب السودان، مبررًا ذلك بالحرب على كنيسة المسيح في إفريقيا[30].

سابعا: إضعاف السودان وتفتيته

إن إضعاف السودان وتحويله إلى دولة ممزقة، تسودها الصراعات هو هدف أمريكي إسرائيلي مشترك[31]، بدليل ما قاله وزير الأمن الداخلي الإسرائيلي آفي ديختر في محاضرة نشرت في سبتمبر 2008 من قبل معهد البحث والأمن الوطني الإسرائيلي بأن إسرائيل وضعت مخططا لتقسيم السودان حتى لا يتحول هذا البد إلى قوة إقليمية في المنطقة، وهذا المخطط وفقا لآفي ديختر وضع منذ استقلال السودان عام 1956.

الهدف هو تفتيت السودان وشغله بالحروب الأهلية لأنه بموارده ومساحته الشاسعة وعدد سكانه يمكن أن يصبح دولة إقليمية قوية، وإنه يجب أن لا يُسمح لهذا البلد رغم بُعده عنا بأن يصبح قوة مضافة إلى قوة العالم العربي لأن موارده إن استُثمرت في ظل أوضاع مستقرة فستجعل منه قوة يحسب لها ألف حساب، ولذلك كان لا بد أن نعمل على إضعاف السودان وانتزاع المبادرة منه لبناء دولة قوية موحدة وهذا من ضرورات دعم وتعظيم الأمن القومي الإسرائيلي[32] . ونفس التصريح تقريبا جاء على لسان رئيسة الوزراء سابقا غولدا مائيير عام 1967 حيث أكدت أن زعزعة الأوضاع الداخلية والاستقرار في كل من السودان من خلال إثارة النعرات الإثنية والطائفية هو جزء لا يتجزأ من الإستراتيجية الإسرائيلية في المنطقة [33]. ولقد اعترف شارون عام 2003 بأنه قد حان الوقت للتدخل في غرب السودان بنفس الآلية وبنفس الوسائل والأهداف التي تم استخدامها في الجنوب[34].

ثامنا وأخيرا: ستكون دولة جنوب السودان بمثابة الفزاعة التي ستستخدمها تلك الدول ضد دول الجوار خاصة العربية منها لتحقيق أهداف السيطرة والهيمنة وتمرير المشروعات الامبريالية في المنطقة[35].

ثالثا: وسائل الغرب لتكريس انفصال الجنوب السودان:

لتحقيق هدف انفصال جنوب السودان، استخدم الغرب ومنذ عقود عدة أدوات، يمكن إجمالها في:

1. اللعب على وتر الطائفية والقبلية: (سياسة فرق تسد)

لعبت بريطانيا ومن بعدها الولايات المتحدة والغرب على وتر القبلية والطائفية لتحقيق أهدافها الاستعمارية، ولقد لعب الاستعمار البريطاني دورا في إحياء القبلية ليجعل منها عنصر ضعف بدلا من أن تكون عنصرا للقوة عن طريق حرصه علي إثبات اسم القبيلة في المستندات الرسمية للسودانيين. ونظرا لأن السودان كبقية الدول الإفريقية يتميز بأنه مجتمع قبلي قابل للتفكك والصراع، إذ يتكون من 597 قبيلة فإنه، وكما يعبر عن ذلك الدكتور حمدنا الله مصطفى رئيس قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة عين شمس، بقوله إن السودان لديه عوامل تؤهله للتمزق أكثر منها إلى الوحدة، حيث تتنوع التركيبة السكانية بين النوبيون والبجة والعرب والنوبايون والزنوج والشلوخ(36).

وفيما يخص تاريخ الصراع السوداني ما بين الشمال والجنوب، فهو يمتد أكثر من نصف قرن أي منذ عام 1955 ، حيث زرعت بريطانيا الاستعمارية بذرة الشقاق في السودانية فكانت تمنع الشمال الإسلامي من دخول الجنوب الوثني المسيحي آنذاك حتى يكون الجنوب كله مسيحي(37).

2. دعم حركات الانفصال بالمال والسلاح وتوفير الحماية الدولية لها

قدمت واشنطن دعما ماليا كبيرًا لما يُسمى بجنوب السودان، ضمن جهودها المكثفة الرامية إلى مساعدة الجنوب على الانفصال عن السودان. ولقد نقلت صحيفة واشنطن تايمز عن إزيكيل لول جاتكوث، الذي وصفته بأنه ممثل جنوب السودان في الولايات المتحدة، قوله: إن واشنطن تقدم دعما ماليا سنويا يقدر بمليار دولار للجنوب السوداني. وأضاف أن هذه المبالغ الضخمة تصرف في إنشاء البنية التحتية وتدريب رجال الأمن وتشكيل ما وصفه بأنه جيش قادر على حماية المنطقة. وأكد إزيكيل لول جاتكوث أن واشنطن تضخ هذه الأموال للجنوب السوداني بهدف مساعدة الجنوب على الانفصال عن الشمال. وأن من بين أهداف حكومة

الولايات المتحدة هو التأكيد على أن يصبح جنوب السودان في عام 2011 دولة قادرة على الاستمرار[38].

إن الولايات المتحدة ليست الداعم العسكري الوحيد لجنوب السودان، فإسرائيل بدورها ساعدت جون قرنق في تدريبات قواته وإمداده بالدعم العسكري والذخائر وبالخبراء في أثناء العمليات العسكرية ضد قوات الشمال، مما ساعد على صمود قرنق أمام هجمات القوات الشمالية. بل إن إسرائيل كانت تشجع فكرة الانفصال في عقل ووجدان جون قرنق بهدف تثبيت الوضع الإسرائيلي في جنوب السودان، ومحاولة كسر العمق الاستراتيجي المصري في الناحية الجنوبية.

ولقد استطاعت إسرائيل أن تدرب حوالي عشرين ألف مقاتل متمرد على حدود أوغندا الشمالية، وأن تقيم جسراً جوياً إلى مناطق التمرد في مارس 1994، كما أنها توفد باستمرار خبراءها العسكريين إلى الجنوب[39].

ويوضح العميد ورجل الموساد الإسرائيلي (موشى فرجى) في كتابه والذي يحمل عنوان: إسرائيل وحركة تحرير جنوب السودان : نقطة البداية ومرحلة الانطلاق – وهو صادر عن مركز ديان لأبحاث الشرق الأوسط وأفريقيا بجامعة تل أبيب – وهو أحد المراكز ذات الصلة الوثيقة بجهاز الموساد وصناع القرار الإسرائيلي، أن إسرائيل قامت بتقديم كميات كبيرة من الأسلحة خلال مراحل الصراع بين الشمال والجنوب، وأهمها المرحلة الممتدة من عام 1985 وحتى الآن، وشملت أسلحة إسرائيلية من نوع رشاش عوزى، وبنادق جاليلى، وبنادق أمريكية آلية (M–16) ومدافع هاون، ومدافع مضادة للطائرات من نوع (فولكان)، وراجمات صواريخ، وأسلحة مضادات للدروع، ثم تعددت أنواع هذه الأسلحة وتضخمت كمياتها كلما تطورت مراحل الصراع، فشملت منذ عام 1985 كمية كبيرة من الأسلحة الخفيفة، 200 ألف رشاش من طراز عوزى ، وبنادق جاليلى[40] .

وشملت أيضاً على:

- قاذفات صواريخ طراز (R.B.G) المضادة للدبابات.
- دبابات من طراز شيرمان المحسنة، وتى 450 الروسية لتستخدم كمدفعية ذاتية الحركة.
- 200 مدفع هاون من صنع إسرائيل بعيدة المدى .

-أجهزة اتصال.

- ألغام ضد الأفراد والآليات .

كما شمل الدعم العسكري وفقاً لموشى فرجى في موضع آخر من كتابه[41]:

1. تدريب القيادات العسكرية الميدانية لزعماء وقادة الفصائل في جنوب السودان في قواعد عسكرية في إسرائيل في منطقة النقب، وقد شملت تدريب طيارين على قيادة طائرات مقاتلة خفيفة، وقد تلقى أكثر من ألف شخص من سكان الجنوب التدريب في إسرائيل على حرب العصابات، ومنهم جون قرنق وغيره من قادة الفصائل الأخرى .

2 . أرسلت إسرائيل خبراءً وضباطاً ومستشارين لتدريب أفراد الفصائل الجنوبية في كل من أوغندا، وأثيوبيا، وكينيا، وحتى في المناطق التي سيطرت عليها تلك الفصائل، وبفضل هذه المشاركة تمكن الجيش الشعبي لتحرير جنوب السودان، والفصائل الأخرى من احتلال عدة مدن هامة من بامبيو واندارا وجمبوه عام 1990 .

3 . منح تسهيلات لهذه الفصائل، لتمكينها من الحصول على الأسلحة والإمدادات والمعدات القتالية من الدول الأخرى ونقلها إلى قواعد في إسرائيل أو قواعد تديرها إسرائيل في إريتريا وأوغندا وزائير وأثيوبيا وكينيا .

ولقد أشارت بعض المصادر إلى أن حركة جون قرنق، والفصائل الأخرى حصلت على مبلغ (50 مليون دولار) من إسرائيل خلال أعوام (1985 – 1993)[42] .

وعلى صعيد الولايات المتحدة الأمريكية، تقود هذه الأخيرة الجهود الدولية في اتجاه انفصال جنوب السودان بذريعة احترام اتفاق نيفاشا، وهو ما أكده مجلس الأمن في جلسته يوم 14 يونيو 2010م؛ والتي خصصت لمناقشة قضايا السودان، وأكد على احترام اتفاق نيفاشا وشراكة الحكم، وعلى إجراء الاستفتاء في الوقت الذي تؤكد فيه الحركة الشعبية أن الانفصال هو الخيار.ومنذ توقيع اتفاق السلام هذا والعلاقات بين واشنطن والحركة الشعبية أشبه بعلاقات الدول، حيث تم تشييد أكبر بعثة دبلوماسية تمثل حكومة جنوب السودان في الولايات المتحدة، تقوم بمهام كتلك التي تقوم بها سفارات الدول الأخرى في العاصمة الأمريكية، وباستقلال عن سفارة دولة السودان[43].

ويقع مقر بعثة حكومة جنوب السودان في قلب واشنطن، في منطقة DuPoint Circle، على بعد أقل من 30 مترا فقط من مقر المكتب الثقافي المصري في واشنطن، أما دورها فيتلخص في الترويج لانفصال الجنوب وجمع الدعم لحكومة الجنوب، أما رئيس البعثة أيزيكول لول جاتكوث فلم يكتف بهذا فقط، وإنما أكد، وحتى قبل إجراء الاستفتاء ومعرفة نتائجه، أن دولة الجنوب ستقيم علاقات دبلوماسية مع إسرائيل.

ولقد اختلف الدعم الأمريكي للجنوب في فترتي الحرب ثم السلام، ففي فترة الحرب كان الدعم المالي والعسكري مستترا، ويجري عن طريق مصادر متنوعة، بما فيها بعض المنظمات الإغاثية التي تعمل واجهات لأجهزة المخابرات خصوصا جمعية البارونة البريطانية الشهيرة (كوكس) المسماة (جمعية التضامن المسيحي)[44].

ولقد منحت وزارة الخارجية الأمريكية إحدى الشركات الأمريكية الخاصة عقدا للقيام بتأهيل متمردي جنوب السودان وتحويلهم لقوة عسكرية محترفة، واختارت شركة DynCorp التي فازت بقيمة العقد المبدئي البالغة 40 مليون دولار للقيام بهذه المهمة، أما الهدف من هذا فتعزيز القدرات العسكرية للجيش الشعبي لتحرير السودان بغية إضعاف موقف الخرطوم. كما تم تكليف شركة Black Water التي غيرت أسمها مؤخرا بعد الكشف عن مشاركتها في تعذيب محتجزين لديها إلى أسم جديد هو Xe لتوفير حماية أمنية لكبار مسئولي حكومة جنوب السودان ولتدريب جيش الجنوب مقابل عقد قيمته 100 مليون دولار أمريكي، يضمن حق الانتفاع بما قيمته 50 % مما تحتويه مناجم معادن حديد وذهب في الجنوب[45].

وتعد الولايات المتحدة – بحسب تقرير واشنطن – أكبر الدول التي تقدم مساعدات للسودان، إذ قدمت واشنطن أكثر من ستة مليارات دولار للسودان منذ توقيع اتفاقية السلام الشامل عام 2005 من أجل عدم إعاقة استفتاء انفصال جنوب السودان. وتركز المنح الأمريكية على كل القطاعات، ومع عودة ما يقرب من 2 مليون سوداني نازح لبيوتهم في الجنوب، تركز برامج الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية في السودان على توفير المواد الغذائية وتحسين الخدمات الصحية، واحترام حقوق الإنسان، والاستقرار والإصلاح الاقتصادي وتوفير التعليم، ودعم عملية السلام [46].

الجدول رقم (1): بيان بأهم المساعدات الأمريكية الإنسانية للسودان خلال عام 2010

مشروعات تنمية القيمة بملايين الدولارات	المنطقة المستهدفة
2.7	إقليم دارفور
391	جنوب السودان
168	شرق السودان
مساعدات للاجئين 138	لاجئون من جنوب السودان
268	إقليم دارفور
327	لاجئون إلى جنوب السودان
221	مساعدات للاجئين الأجانب داخل السودان

المرجع: محمد جمال عرفة، مرجع سابق.

3. استخدام المحكمة الجنائية الدولية:

استخدم الغرب عموما، والولايات المتحدة بشكل خاص، المحكمة الجنائية الدولية للضغط على البشير من خلال اتهامه بارتكاب جرائم ضد الإنسانية في دارفور، حيث قدرت إحصائيات الأمم المتحدة عدد القتلى جراء الحرب الأهلية في دارفور ما بين 300 إلى 400 ألف قتيل. وهي الأرقام التي استندت إليها محكمة الجنايات الدولية بلاهاي ورئيسها في لائحة اتهامها ضد البشير [47].

ولقد جاءت مذكرة الاعتقال الثانية التي أصدرتها المحكمة للرئيس السوداني في يوليو 2010م –بعد المذكرة الأولى في مارس 2009م– تماشيًا مع الضغوط المكثفة لحسم مصير استفتاء الجنوب بالانفصال (كأول حلقة في مخطط تفتيت السودان)، وكذا لعرقلة الجهود القطرية والعربية لحل مشكلة دارفور قبل استفتاء الجنوب (دعم المتمردين بقرار المحكمة وتشددهم في المفاوضات).

وهكذا سيكون عصا المحكمة مرفوعا ضد النظام السوداني لإجباره على القبول بإجراء الاستفتاء على انفصال الجنوب والقبول بالنتائج.

4. التبشير :

يزعم الكثير من المؤرخين الغربيين المهتمين بالشأن الأفريقي والذين ترعاهم الكنيسة الغربية أن بلاد السودان والنوبة وشرق أفريقيا، كانت ممالك نصرانية مثلها مثل مملكة أكسوم النصرانية في الحبشة. ويتحدث هؤلاء المؤرخون في كتاباتهم الموجهة أساسا لمخاطبة عواطف أنصار الكنيسة وإلى الرأي العام الغربي عموما، عن أسماء لممالك مسيحية كانت تحكم السودان، وتشكل امتدادا لمملكة النوبة، قبل أن يقضي عليها المجاهدون المسلمون إبّان مرحلة الصحوة الإسلامية التي شهدها شرق أفريقيا والسودان في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، ويؤسسوا على أنقاضها سلطنات إسلامية جديدة، في إشارة إلى سلطنة الفور في دارفور أواسط القرن الخامس عشر، وسلطنة الفونج في القرن السادس عشر. كما يتحدثون عن بقايا آثار لأسماء عدد من المدن المسيحية المزدهرة في السودان، والتي دمرها المسلمون – بزعمهم أيضا – في تلك المرحلة. ولا يزال بعض وثائق الكنيسة الانكليزية الصادرة حديثا جدا يتحدث عن أن السودان دولة مسيحية استولى عليها المسلمون [48].

وبناء على ذلك عمل الاستعمار الغربي هناك على التخطيط لإعادة بعث وإحياء تلك الممالك والمدن المسيحية، أو خلقها من العدم – بعبارة أصح –. وإن كان ذلك بأشكال وأساليب جديدة. وكانت سياسات الاستعمار البريطاني في جنوب السودان تصب في هذا الاتجاه منذ اليوم الأول لفرض هيمنته الاستعمارية على السودان سنة 1899. فقد كانت بريطانيا تنظر إلى السودان نظرة عقائدية دينية بالدرجة الأولى حيث أن المصالح الاقتصادية لم تكن هي الأهم، لذا فإن كنيسة انجلترا هي التي رسمت خطوط حملة كتشنر الثأرية (1897-1899) لتحويل السودان إلى دولة مسيحية بالكامل [49].

وبعد رضوخ قبائل الجنوب للهيمنة الاستعمارية، عمل المستعمر البريطاني على تمزيق أوصال الاتصال الثقافي – الاجتماعي بين الشمال والجنوب، وحرص في الوقت نفسه على تشجيع التبشير المسيحي في هذه المنطقة، ووفر له كل أشكال الدعم ماديا ومعنويا، ووضع التعليم المدني عموما والتعليم العالي خصوصا، تحت إشراف مدارس الإرساليات الكنسية، عبر تأسيس

كلية جوردن، وجعل الإنجليزية اللغة الرسمية، في الجنوب، وحارب مظاهر الثقافة العربية الإسلامية بكل السبل، لدرجة أنه منع رؤساء القبائل من اتخاذ أسماء عربية أو لبس الزي العربي، ثم أبعد التجار الشماليين من الأسواق الجنوبية، والعاملين المسلمين من وظائف الدولة في الجنوب. وبلغت تلك السياسة ذروتها بإصدار قانون المناطق المغلقة الذي سعى إلى عزل جنوب السودان إداريًا، وثقافيًا، واجتماعيًا عن شماله. وبذلك غُرست بذور الفرقة والشتات بين الشمال والجنوب، وشُيد حاجز نفسي بين طرفي القطر(50).

وفي ظل هذا الواقع ظل إحساس كنيسة انكلترا بأنها راعية المسيحيين في السودان على رغم أن معظم هؤلاء لا يدينون بالانجليكانية.

وعلاوة على دعم حركة التمرد المسلح في الجنوب، ظلت بريطانيا تتولى تجميع القوى المناوئة للحكومة السودانية الحالية في داخل السودان وخارج، حتى أصبحت لندن بؤرة تجمع ودعم لكل من يحاول تفتيت السودان تحت شعار إسقاط النظام الأصولي. وبقي المتنصرون في جنوب السودان بمثابة مسمار جحا للتدخلات البريطانية والكنيسة الانغليكانية المستفزة في الشئون الداخلية للسودان، لدرجة أن السودان على خلفية هذه التدخلات قام بطرد السفير البريطاني بيتر ستريمز، من بلاده سنة 1991.

ولقد لعب مجلس الكنائس العالمي دورًا كبيرًا في عمليات التبشير ليس في جنوب السودان فقط، وإنما في كل إفريقيا، بل إنه حاول أيضًا الدخول في قلب السودان؛ حيث الأغلبية المسلمة، مستغلا في ذلك فقر البشر وتخلفهم وحاجتهم لما يسد جوعهم وعطشهم، وقد استخدم المجلس- من خلال كنائسه في جنوب السودان التي وصلت إلى 500كنيسة وإرسالية- كل الأساليب من أجل جذب أهل الجنوب إليها، وقد وضعت في كثير من الأوقات شروطًا لتوزيع معوناتها التي كان من أبرزها تقدمها لكل المسيحيين بمختلف أعمارهم، بينما تقدم إلى غيرهم من المسلمين والوثنيين للأطفال والنساء فقط، ما دفع المسلمين والوثنيين إلى تسمية أنفسهم وأبنائهم بأسماء مسيحية من أجل الحصول على معونات الكنائس التي كانت تتخذ من إثيوبيا قاعدة لانطلاقها في الجنوب.(51).

وهو ما كشفه آشوك كولن يانق الأمين العام لمجلس الكنائس العالمي لوسط وشرق إفريقيا سابقًا بعد إسلامه؛ حيث أوضح المخططات التي كانت تتبعها الآلاف من المنظمات

الغربية الكنسية في تنصير المسلمين عبر وسائل وأساليب متعددة، منها الغطاء الإنساني، وسلاح المعونات، وممارسة الضغوط على الحكومات العربية والإسلامية حتى تستجيب للمطالب الغربية. وأكد أشوك أنه شارك في مؤتمر سري عقد في ولاية تكساس الأمريكية لدراسة أوضاع كل دولة إسلامية على حدة، واتخاذ الإجراءات المناسبة من أجل تنصير أبنائها أو إبعادهم عن دينهم، موضحًا أن مجلس الكنائس العالمي يرعى الآلاف من الكنائس، والسودان وحده يعمل فيه أكثر من 500 منظمة كنسية.

ولمجلس الكنائس تاريخ طويل لتقليب الرأي العام على السودان بحجة حماية الأقليات، وتحديدًا منذ بدأ التنسيق بين مجلس الكنائس العالمي ومجلس الكنائس في عموم أفريقيا 1971، وتحت رعاية الهيئتين تم إبرام اتفاق أديس أبابا في فبراير 1972، بين المتمردين وحكومة الخرطوم، وفي أغسطس من نفس السنة أقامت الخرطوم علاقات دبلوماسية مع الفاتيكان، وفي عام 1990 أعلن المجلس ضرورة توزيع ريع الناتج النفطي بصورة عادلة بين الأطراف السودانية، وفي عام 1992 أصدر مجلس الكنائس العالمي مذكرةً عن السودان يعلن فيها اهتمامه البالغ بكل من الجنوب والغرب (دارفور)، وفي 29 يناير 2001 أعلنت اللجنة المركزية لمجلس الكنائس العالمي خلال اجتماعها ببرلين عن استيائها لما يتعرض له سكان الجنوب السوداني من تعذيب وقمع، وفي بداية يوليو 2002 زار كونارد رايزر الأمين العام لمجلس الكنائس العالمي السودان في جولة ضمت عددًا من دول القرن الإفريقي، وتشرف المنظمات الكنسية في جنوب السودان التي تزيد على 39 منظمةً على جانب مهم من النشاط الصحي والتعليمي والنشاط النسوي.(52)

ولقد حذر تقرير أمني سوداني تم نشره عام 2007 من نشاط الهيئات التنصيرية في جنوب السودان، مستدلا بما قاله المنصِّر الإيطالي الشهير دانيال كمبوني الذي أخذ العهد على نفسه وهو يشهد احتضار أحد القساوسة بأن ينذر حياته لتنصير إفريقيا أو الموت على درب من سبقوه. وبدأ القس (ليوللن قوبي) تأسيسه للكنيسة الأسقفية الأنجليكانية بشعار إعادة نصب راية المسيح التي سقطت، ويقول: إن على الكنيسة ألا تخلد إلى الراحة حتى تستعيد ما كان لها مرةً أخرى.وفي هذا الإطار يقول الكاتب الإنجليزي (ساندرسون): تحاول الكنيسة السودانية أن تستند إلى مقاومة الإسلام مقاومة إيجابية؛ أما المقاومة السلبية فهي عند الصفوة الجنوبية من خريجي مدارس الإرساليات، وتمثل واجبًا دينيًّا مسيحيًّا . وهو ما أكده القس (دانيال كمبوني) في بداية

حركة الإرساليات النصرانية؛ حيث أعلن قائلا: سيتم توفير التعليم العالي للعناصر الأكثر كفاءة، والمأمول أن يتسلموا مقاليد القيادة في بلادهم، وهذا ما يحدث الآن على أرض الواقع.[53]

5. استخدام منظمات الإغاثة الدولية:

يعد جنوب السودان كنزًا لا ينفذ لمنظمات الإغاثة الدولية؛ حيث تحصل على أكثر من 300 مليون دولار سنويًّا لدعم التنمية في الجنوب، إلا أنها لا تنفق على برامج التنمية سوى 5% منها فقط، بينما يذهب الباقي إلى الدعم اللوجستيي الخاص بالرواتب والبدلات والمكافآت والفنادق والرشاوى.

وقد فضحت بعض الكتابات الغربية الأدوار المشبوهة لهذه المنظمات منها كتاب Poverty Lords of لغراهام هانكوك، وكتاب The Road to Hell وقد كشف الكتابان الأخطاء والتجاوزات لمنظمات العون الإنساني في الجنوب من أجل تصحيح مسارها، حيث خلقت هذه المنظمات مجتمعًا اتكاليًّا في جنوب السودان، يعتمد على المعونات، ويكفي أن نفس الفريق الذي أدار برنامج المعونة الأمريكية قبل اتفاقية السلام هو نفسه الذي يدير حكومة الجنوب الآن.ويؤكد خبراء متابعون للعمل الإغاثي في جنوب السودان أن هذه المنظمات بدأت تحل محل وكالات الأمم المتحدة، كما أن هذه المنظمات لها مشاريع استثمارية خاصة، تسير جنبًا إلى جنب العمل التطوعي، فطائرات الإغاثة التي تفرّغ محتوياتها في مطار جوبا تعود محملة بخيرات الجنوب وخاصة أطنان الأسماك[55].

خاتمة:

من كل ما سبق، يمكن القول أن ما يجري في جنوب السودان ليس إلا نسخة مكررة من سيناريو انفصال تيمور الشرقية عام 1999، هذا السيناريو الذي تدعمه الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، معتمدة في ذلك على عدة وسائل أهمها الدعم العسكري والسياسي والمالي لحركات الانفصال، اللعب على وتر الطائفية والقبلية والتبشير، إضافة إلى تسليط سيف العقوبات الدولية والتهديد بالمحكمة الدولية حتى رضخ السودان أخيرا وتم فصل جزءا هاما من إقليمه. وكما أن هناك مستفيدون من انفصال الجنوب هناك أيضا العديد من الأطراف المتضررة من هذه الخطوة كإيطاليا والصين وروسيا.

ومن جانب آخر وعلى الصعيد الإقليمي تعد مصر أيضا طرفا خاسرا، حيث ستتم محاصرتها جنوبا بدولة حليفة لإسرائيل، فضلا عن تهديد أمنها المائي. وبدلا من أن تعمل مصر جاهدة على إفشال هذا المخطط الذي يهدد أمنها القومي مباشرة، فقد قامت بخطوات ساعدت على إنجاحه، حيث اتخذت موقفا محايدا بين الحكومة السودانية وحركات التمرد في الجنوب، بل أنها أقامت علاقات سياسية واقتصادية وثيقة مع تلك الحركات توطئة للانفصال، كما أعلن أكثر من مسئول مصري. أما أكبر الخاسرين طبعا هو السودان الذي أضاع السنوات التي تلت اتفاق تقرير المصير عبر الدخول في خلافات حزبية ضيقة، ولم يتخذ أية خطوة من شأنها إقناع الجنوبيين بأن الوحدة هي السبيل الأفضل لهم، كما لم يتخذ أي خطوة لمواجهة هذا المخطط.

في الأخير أيضا يجدر بنا أن نتساءل فيما إذا كان هذا السيناريو الغربي آخر السيناريوهات لتقسيم المنطقة العربية أم أن هناك دولا أخرى سيأتي عليها الدور؟

الهوامش والإحالات:

(1) عن السودان

http://www.sudan.gov.sd/ar/index.php?option=com_content

(2) Sara Flounders, **Quel e rôle des États-Unis au Darfour,** Mondialisation.ca, Le 7 juin 2006:

http://www.mondialisation.ca/index.php?context=va&aid=2601

(3) حسين معلوم، **المشهد المتكرر بين "الجنوب" و"الغرب": القوى الكبرى ومحاولة فدرلة السودان**، (الأحد 10 تشرين1/أكتوبر 2004)

http://www.nashiri.net/component/content/article/1673.html

(4) نفس المرجع

(5) نفس المرجع.

(6) عبد الله النفيسي، **القرن الإفريقي: تفكيك وتركيب الأنظمة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية**، برنامج بلا حدود، قناة الجزيرة (يوم 2006/12/06).

(7) Sara Flounders, op.cit

(8) **الثروة الحيوانية في السودان**(23 نوفمبر 2007):

http://www.kenanaonline.com/ws/lopez/blog/66242/page/4

(9) نفس المرجع.

(10) محمد جمال عرفة، **الدور الأمريكي في تشجيع انفصال جنوب السودان وأهدافه**(31 أغسطس 2010):

http://www.africaalyom.com/web/Articals/97-11/.htm

(11) Idriss Linge , **Crise soudanaise: Le pétrole n'aurait-il pas été la seule culpabilité d'Omar el Bechir ?** (14/04/2009) :

http://www.journalducameroun.com/article.php?aid=1129

(12) محمد جمال عرفة، مرجع سابق.

(13) إبراهيم زعير، "السودان أمام مخططات التقسيم الغربية"، **مجلة شؤون سياسية الإلكترونية** (الأحد 2010/8/15):

(14) حسين معلوم، **المشهد المتكرر بين "الجنوب" و"الغرب": القوى الكبرى ومحاولة فدرلة السودان** (**الأحد**، 10 أكتوبر 2004):

(15) Sergei Balmasov, **Dans leur lutte acharnée pour le pétrole, les pays occidentaux sont déterminés à détruire le Soudan:**
Balmasovhttp://www.mondialisation.ca/index.php?context=va&aid=12589

(16) حسين معلوم، مرجع سابق.

(17) رفعت سيد أحمد ، "الموساد الإسرائيلي يخترق جنوب السودان"، **مجلة العصر الإلكترونية**، (**الأحد**، **05/09/2010**):
http://www.alalam-news.com/node/267317

(18) أحمد فوده، **استفتاء جنوب السودان.. الفرصة التي لن يفوتها الغرب**:

http://alquds.co.uk/index.asp?fname=today%5C24qpt17.htm&arc=data%5C2010%5C11%5C11-24%5C24qpt17.htm

(19) **آثار الأصابع الإسرائيلية في جنوب السودان: ندوة قناة الجزيرة الفضائية عن التدخل الإسرائيلي في جنوب السودان**:
http://www.alsiasi.com/index.php/studies/20089-2010-12-11-18-40-54

(20) نفس المرجع.

(21) أحمد سبيع، **خريطة المستفيدين من انفصال الجنوب** (**26/10/2010**):
http://www.ikhwanonline.com/Article.asp?ArtID=72765&SecID=341

(22) أحمد فودة، مرجع سابق.

(23) إبراهيم زعير، "السودان أمام مخططات التقسيم الغربية"، **شؤون سياسية** (الأحد 2010/8/15):
http://thawra.alwehda.gov.sy/_kuttab_a.asp?FileName=9191816012010081421051 5

(24) عبد الله النفيسي، مرجع سابق.

(25) أنظر في هذا الموضوع أيضا:

Chris Talbot, **Des considérations géopolitiques motivent l'intervention des Nations unies au Darfour(**25 août 2007) :
http://www.wsws.org/francais/News/2007/aout07/250807_darfour.shtm

(26) إبراهيم زعير، مرجع سابق.

(27) حسين معلوم، مرجع سابق.

(28) نفس المرجع.

(29) محمد جمال عرفة، مرجع سابق.

(30) أحمد سبيع، مرجع سابق.

(31) أنظر :

Plan américano-israélien pour diviser le Soudan : Création d'un nouvel Etat à «Zghaoua» : Le Quotidien:
http://www.tunisia-today.com/archives/19393

(32) أحمد سبيع، مرجع سابق.

(33) Abdallah Al-Achaal**, Complot contre l'unité du Soudan:**
http://hebdo.ahram.org.eg/arab/ahram/2010/12/1/opip5.htm

(34) Abdallah Al-Achaal, op.cit.

(35) احمد فوده، مرجع سابق

(36) سعد الأريل، **جنوب السودان: صراع بلا نهاية:**

http://www.airssforum.com/f612/t52933.html

(37) نفس المرجع

(38) **واشنطن تدعم انفصال جنوب السودان بمليار دولار سنويًا:**

http://www.islammemo.cc/akhbar/arab/2009/12/25/92410.html

(39) **الخبير الاستراتيجي اللواء سامح سيف اليزل: إسرائيل أمدت جنوب السودان بالسلاح والخبراء العسكريين:**

http://www.ahram.org.eg/404/2011/01/06/58/56995.aspx

(40) رفعت سيد أحمد، قنبلة **إسرائيلية تنفجر جنوب النهر: هل يؤسس الموساد دولته الجديدة علي النيل**(12 نوفمبر, 2010)

http://yafacenter.com/TopicDetails.aspx?TopicI

(41) نفس المرجع.

(42) نفس المرجع.

(43) محمد جمال عرفة، مرجع سابق.

(44) نفس المرجع.

(45) نفس المرجع.

(46) نفس المرجع.

(47) Sergei Balmasov, op.cit.

(48) أحمد الظرافي، **هل وصلت المؤامرة الغربية على السودان إلى مرحلة النضج؟**

http://www.muslm.net/vb/showthread.php?t=404546

(49) نفس المرجع.

(50) نفس المرجع.

(51) أحمد سبيع، مرجع سابق.

(52) نفس المرجع.

(53) نفس المرجع

(55) نفس المرجع.